الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط
التاريخ : ١٠ اكتوبر ١٩٩٥

متى.. وكيف يتحقق السلام؟

أحمد حمروش

محادثات السلام وصلت الى مرحلة تختلف تماما عن جميع المراحل السابقة... والمواجهة والمصارحة اصبحت مطلوبة الآن اكثر من اي وقت مضى.

أربع سنوات منذ مؤتمر مدريد ولم يتم اتفاق مقبول ومنفذ سوى بين الحكومة الاردنية والحكومة الاسرائيلية... أما المفاوضات الفلسطينية ـ الاسرائيلية فمازالت بعيدة عن الاتفاق النهائي على شروط السلام رغم الاحتفال مرتين في حديقة البيت الأبيض بواشنطن بعد اتفاق أوسلو وتوسيع نطاق الحكم الذاتي... والمفاوضات السورية ـ اللبنانية مع اسرائيل مازالت متعثرة يغلفها الغموض والتوقعات المتضاربة.

ويرجع هذا اساسا الى قبول مبدأ المفاوضات منذ البداية على اساس ثنائي، وليس على اساس عربي موحد... وهذه قضية محورية في مسيرة التسوية السلمية... وفي مسيرة التضامن العربي ايضا... وقد ظهر اثرها مبكرا عندما رفضت سورية ولبنان الاشتراك في المفاوضات متعددة الاطراف بينما شاركت فيها دول ليست من دول المواجهة، وتمادى بعضها فاقام علاقات تجارية وشبه دبلوماسية مع اسرائيل قبل الوصول الى تسوية شاملة.

وهنا يصبح التساؤل مطلوبا عن المدى الذي يمكن أن يستمر فيه هذا التردي والتمزق العربي الذي يضعف بالتاكيد من القدرة على مواجهة الحكومة الاسرائيلية... ويصبح التساؤل مطلوبا ايضا عن الوسائل التي يمكن التغلب بها على هذه الظاهرة السلبية.

الحقائق المحيطة بنا تظهر أن الترابط القومي في اضعف مراحله، وان الدول العربية قد انكبت على مشاكلها الداخلية، وخاصة بعد أزمة الخليج وتفشي التطرف والإرهاب وزيادة المتاعب الاقتصادية... والجامعة العربية التي تشكل حصن العرب وبيتهم اصبحت عاجزة عن حل المشاكل المتفاقمة أو النجاح في تحقيق مصالحة عربية شاملة.

وبعض الخطوات الايجابية التي اتخذت في هذا السبيل مثل مؤتمر القمة المصغر الذي عقد في الاسكندرية بحضور الملك فهد والرئيسين حافظ الأسد وحسني مبارك كانت بادرة تمنى العرب أن يكون لها ما بعدها، واثار الاسرائيليون حولها موجات من النقد... الأمر الذي يؤكد ان اي خطوة في طريق التضامن العربي تحسب اسرائيل لها الف حساب، لأنها تدرك ان في هذا التضامن قوة للعرب وسلاحا فعالا لهم في الحرب والسلام.

ومع استمرار هذه الحالة الموجعة للتمزق العربي، يثور تساؤل آخر هو امكانية البقاء في هذه الحالة التي تؤخر الوصول الى اتفاق... وهي حجة يستند إليها الرافضون لمفاوضات السلام، الرافضون للتعامل مع اسرائيل... والتصور السائد عند البعض هو رفض المفاوضات وما ينجم عنها من اتفاقيات ثنائية، وتفضيل البقاء في الحالة التي نحن عليها رافعين شعارات المقاومة... وهو موقف لا يحسن تقدير التغيرات التي تحدث مع مرور الزمن مثل التي قامت بها اسرائيل في أرض فلسطين والقدس، الأمر الذي يزيد من صعوبات وتعقيدات الحل... ومثال على ذلك اصرار الحكومة الاسرائيلية ـ حتى الآن ـ على بقاء 400 مستوطن اسرائيلي في الخليل وسط اكثر من مائة الف فلسطيني وهو أمر يثير شرعية بقاء المستوطنات كقنابل زمنية متفجرة.

بقاء الحال على ما هو عليه مع مرور الزمن هو أمر ليس في صالح السلام ولا في صالح العرب... ولذا يصبح الاستناد الى قدرة 200 مليون عربي على احتواء 5 أو 6 ملايين اسرائيلي أمرا يحتاج الى مراجعة وبعد نظر.

والنتائج التي تحققت حتى الآن في مسيرة المفاوضات والتسوية السلمية تشير الى ان النكوص او التراجع امر مستبعد وضرره أكثر من نفعه، لان عجلة السلام قد دارت ويجب الا تتوقف، خاصة ان جميع الدول العربية بما فيها سورية قد اعتبرت السلام خيارا استراتيجيا لها، وان حلم بعض المتطرفين الاسرائيليين باقامة اسرائيل الكبرى قد تبدد لانه يفتقد الواقعية ويتعارض مع رؤية جميع الأطراف الساعية للسلام بما فيها الادارة الامريكية.

والمعارضون للاتفاقيات التي تمت، وخاصة توسيع نطاق الحكم الذاتي تمهيدا لخطوات اخرى خلال مفاوضات مستقبلية، لا يقدمون بديلا واقعيا، ولا يملكون خطة اكثر إيجابية وهم يلمسون المعاملة القاسية التي يتعرض لها الفلسطينيون سواء من جانب ليبيا أو بعض دول الخليج... الأمر الذي قد يؤدي في المستقبل الى هجرة هؤلاء الى اماكن يستطيعون العيش فيها في امان واستقرار، ولا يكونون نفايات بشرية كما صرح بذلك بعض الساسة اللبنانيين.

الواجب الا تكون كلمة (لا) هي أول كلمة في قاموس المشتغلين بالسياسة في الدول العربية أو في صفوف القوى الفلسطينية، فقد جرت علينا هذه الكلمة الرافضة كثيرا من الويلات والمصائب منذ رفضنا التقسيم الذي صدر من الأمم المتحدة عام 1947 الى اليوم.

ومفروض ان يكون لكلمة (لا) وزن وقيمة اذا كنا نملك القوة والقدرة على المواجهة في إطار التضامن العربي... أما اطلاقها كما يقول المثل (عمال على بطال) دون وجود خطة بديلة فإن ذلك يعتبر في النهاية خدمة غير مباشرة لحكومة اسرائيل التي تنفذ ارادتها مستندة أولا الى هذا التمزق العربي، الذي سمح لها حتى الآن بالتعامل مع بعض الدول العربية في كثير من المجالات... والخشية أن يزيد هذا التعامل في المستقبل مما يضع الرافضين في موقف اكثر صعوبة وضعفا.

وتظهر هذه الكلمات قبل ايام من مؤتمر القمة الاقتصادية لشؤون الشرق الأوسط الذي سيعقد في الاردن، وقبل اسابيع من مؤتمر برشلونة، وهي مؤتمرات لا بد ان تكون لها قرارات في اتجاه مخالف لاتجاه دعاة التوقف والجمود والنقد الصاخب لكل ما يعقد من اتفاقيات.

وهنا تصبح الاجابة عن هذا السؤال (متى وكيف يتحقق السلام؟) مرتبطة بالادراك الصحيح لظروف المرحلة، والتقدير الصحيح للأحوال العربية، والسعي الدؤوب لاستعادة التضامن العربي... وهي أمور يجب أن تتم مواجهتها بكل الصراحة والموضوعية الممكنة... فلم تعد الشعارات والمزايدات وحدها كافية لحل المشاكل ووضع المنطقة في طريق السلام... هذا هو الهدف النبيل الذي تتطلع إليه جميع الشعوب عربية او اسرائيلية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية